مجلة زانكوّ للعلوم الإنسانية
ISSN (Print):2218-0222
ISSN (Online): 2412-396X

Vol.28 Issue SpC 2024
ID No.2279 (PP 186 - 195)
https://doi.org/10.21271/zjhs.28.SpC.11

بحث

تجليات هموم الذات الأنثوية في شعر بشرى البستاني

كزنك صالح رشيد/ وزارة التربية، مديرية تربية – اربيل

علاءالدين محمد رشيد / قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة صلاح الدين-أربيل،أربيل،اقليم كوردستان،العراق

ملخص

يتناول هذا البحث مظاهر هموم الذات الأنثوية من حزن وشعور بالوحدة وبالاغتراب في شعر بشرى البستاني التي حاولت من خلال قصائدها تسليط الضوء على مأزق الأنثى وما تواجُهها من صعوبات وتحديَّات في يوميَّاتها المتزامنة مع مشكلة الحرب والحصار والتَّدهور الاقتصادي والاجتماعي، والسياسي الذي شهده العراق خلال العقود الماضية بسبب سلسلة الحروب المتتابعة وما صاحبتها من فوضى وانهيارات.

وتكمن أهمية البحث في الكشف عن أثر الأحداث الواقعية مثل مشكلة الحرب، والحصار الاقتصادي الشامل، ودورهما في تشكُّل الواقع المعيش، وتحديد طبيعة الوعي الاجتماعي ووعي الأفراد، ورؤيتهم ولاسيما الرؤية الأنثوية، وإبراز دور هذه الأحداث في التجربة الشعرية للشاعرة بشرى البستاني، وتكوين رؤيتها إلى العالم، وتهدف هذه الدراسة إلى بيان خصوصية الرؤية الأنثوية للعالم، وتفرُّدها وطبيعة تأثر المرأة - الشاعرة بضغوط الواقع المعيش وتحدياته وإكراهاته التي تكون آثارها مضاعَفةً بسبب الخصوصيَّة العاطفية والوجدانية التي تتصّفُ بها المرأة في الأساس.

CORRSPONDANCE
كزنك صالح رشيد
gazangsalih33@gmail.Com

الاستلام 2024/05/16
القبول 2024/07/18
النشر 2024/12/15

الكلمات المفتاحية:
الرؤية إلى العالم،
الحزن والاغتراب،
بشرى البستاني،
الواقع المعيش ،
الحرب والحصار.

About the Journal
Zanco Journal of Humanity Sciences (ZJHS) is an international, multi-disciplinary, peer-reviewed, double-blind and open-access journal that enhances research in all fields of basic and applied sciences through the publication of high-quality articles that describe significant and novel works; and advance knowledge in a diversity of scientific fields. https://zancojournal.su.edu.krd/index.php/JAHS/about

1- المقدمة:

تصــدُر المرأة المبدعة في رؤيتها للعالم عن ذاتها، ويمكن عَدُّ هذه الذات ذاتاً جماعية، ومجموعة أنوات أنثوية؛ فهموم الأنثى وهواجسها وأشواقها في جوهرها واحدةٌ، ونابعة من إشكاليات تاريخية ومجتمعية عميقة نجد لها حضوراً طاغياً في الكثير من قصـائد الشـاعرة بشرى البسـتاني، فهي تعبر عن هموم المرأة، وحزنها الوجودي بغض النظر عن الفوارق الزمنية والمكانية والعرقية أو الطبقية وتجسـد من خلال نصـوصـها رؤيتها الأنثوية إلى العالم والواقع المعيش وما تجري فيه من أحداث وهذا يعود إلى الطبيعة الأنثوية الخاصة، وكيفية تعاطيها مع تجارب الحياة ، وتفسيرها لما يحدث حولها، فالرؤية الأنثوية تشكلت نتيجة ظروف وملابسـات وعوامل تاريخية متعددة فرضـتها عصـور طويلة من الاسـتلاب والاغتراب والقهر، فهموم الشـاعرة وأحزانها تتشـابه مع هموم الذات الأنثوية وشـعورها العميق بالوحدة والغربة النفسـية والفكرية والعاطفية، والملاحظ أن طبيعة الاستجابة الأنثوية لهذه المثيرات الوجدانية متشابهة أيضاً، ولاسيما في الظروف القهرية مثل الحرب والحصار وتبعاتهما والأزمات الناتجة عنهما، فهذه المشاعر القهرية الضاغطة مثل الحزن الوجودي العميق ورفض الواقع القامع ، وحس الاغتراب والوحدة ترثها النساء جيلاً بعد جيل كما يرث الإنسان سماته الشكلية وخصائصه الجسمانية من أسلافه، وموضوعة الحزن الأنثوي من أبرز الموضوعات التي تحتفي بها قصائد الشاعرة بشرى البستاني وبالأخص تلك القصائد التي تعود إلى أوقات الحرب والحصـار، وهي التي تناولت هذه الدراسـة نماذجَ منها بالتحليل والمقاربة لكشـف أَمارات الحزن الأنثوي والتعبيرات اللغوية التي تتركزُّ عندها هذه الإشارات، إذ تمزج الشاعرةُ حزنها الذاتيَّ وهمومَها الشخصية التي تسببت فيها الأحداث الطارئة كالحرب والحصار وتداعياتهما القاسية، بهموم المرأة عموماً وحزنها الوجودي المقيم في خلاياها الشعورية وتجاويف ذاكرتها الأنثوية المتوارثة، وترى الشاعرة في أحزانها وغربتها الطارئة الجزئية امتداداً لسلسلة مشاعر القهر التي عاشتها النساء مع ظهور التصنيف الجنسي والطبقي في المجتمعات الإنسانية القديمة.

2- التمهيد

مازالَ الأدبُ النسويُّ، ولاسيَّما الشعرُ منه يحملُ طابعاً ذاتيَّاً في ملمَحه العام، حتَّى مع خروج الشاعرة عن هذا السياق، وخوضِها لقضايا الواقع الجمعي المعيش، والتحيُّز الصريح لها، كنوعٍ من الالتزام الواضح والمعلَن إزاء شؤون تخُصُّ الفئةَ أو الطبقة التي تمثّلها، إلَّا أنها سُرعانَ ما تعودُ، فترتدُّ إلى دواخل الذات، وتغوصُ في أعماقها، لتكشـفَ عن مواجِعها، وهمومها، ومخاوفها، وغير ذلك من المشـاعر المختلفة التي تغدو بسـبب تمكنّها من الذات وتأثيرها المتزايد، عِبئاً ثقيلاً تنوءُ بها الذاتُ الأنثويَّة المبدِعة، وهذا ما يمكن ملاحظته في التجربة الشعريَّة للشاعرة بشرى البستاني، ولاسيَّما حين تزامنت أحداث الحرب، ومُجرياتها مع واقع الحصار وقسـاوته، كأنهما تواطآ معاً إمعاناً في قهر الذات، وتلوينها بألوان الشـقاء الإنسـاني. وتعدُّ ظاهرة الحزن، والاغتراب، والإحسـاس بالوحدة من الظواهر البارزة التي يتميَّز بها النصُّ الأُنثوي، والتي تطبعُ كتاباتِ المرأة بطابع نُواحي، وبُكائي ملحوظ، ولهذه الظاهرة جذورٌ، ودوافعُ شـعوريةٌ، ولا شـعوريةٌ عميقة ترتبطُ بتكوين المرأة النفسيـ والبيولوجي، والجيني، فضـلاً عن التصـنيف الجنسـاني، والقهر التاريخي الذي عانت منه، والذي وضـعَها دائماً في سـياق الجنس الآخر/ الأقل شـأناً (بوفوار، 2008، 10) ؛ فهذه القضـايا النفسية، والجندرية من المنطلقات الرئيسة التي تشكلُ الخطابَ الشعري للشاعرة حتى مع ضغوطات الواقع، وتعقيداته، في ظلّ الحرب، والحصار؛ فالنزعة الشعائرية، وطقوس الحزن، والذاتية، لازمت عدداً من نصوصها حتَّى مع وجود تهديداتٍ خطيرة على مسـتوى الواقع السـياسي، والاقتصـادي، والأحوال المعيشـية الصـعبة التي مرَّ بها العراق بمكوّناته وفئاته، وطبقاته الاجتماعية المختلفة.، والشعر هو تفاعل الشاعر مع واقعه المحيط وأحداث هذا الواقع، وتجسيد لموقفه الفكري والوجداني منها، وكما يقول روجيه جارودي فإن الفنَّ ليس إلَّا أسـلوبَ حياةِ الإنسـان، وعبارةً عن عمليَّتي انعكاس وخلقٍ لا ينفصـمان عن بعضـهما البعض؛ لأنَّ الأنســان ليس كائناً منعزلاً، وعندما تواتيه فُرصــةُ التفتُّح، والانطلاق فأنه يتحوَّل إلى عالمٍ صــغير يحملُ في طيَّاته ثقافةَ الجنسِ البشري السابقة عليه، أمَّا حاضُره فيتمثلُ في (تواجد) عصره في كيانه؛ إنَّها حياةٌ جامعةٌ تأكلُ في كفّها كلَّ دروب الدنيا، وهو يشارك في الحركة الشـاملة للكون ولتاريخه، والمشـاركة تعني في آنٍ واحد أن يكونَ المبدعُ مرآةً للكون، وأن يُسـهمَ في حركته، فهو الذي يحمل العالم في جَنباته، وأعمالُه تحوّل العالمَ المفروض علينا إلى عالمٍ يُقيمه هو ويبتكرهُ (جارودي، 2017، 14) وقد ربط عبدالله الغذامي خاصية الحزن، والانكسار بالأنوثة بقوله: فحينما نقول الحزن؛ فإننا نضع أيدينا على أحدِ أهمّ معاني الحياة، وهو

المعنى الذي كانت تتعالى عليه الفُحول؛ فالفحلُ رجل قويٌّ لا ينكسرُ ولا يضعُف ويجبُ أن لا يظهرَ في شعره أو قوله انكسار أو ضَعفٌ؛ فهذه الأمور مضادّة للفحولة؛ فالحزنُ من أقوى المشاعر المرتبطة بالأنثى؛ حتّى إنّ الرثاءَ قديماً كان من الموضوعات الشعرية التي تنزعُ إليها المرأةُ أكثر، وقد تبرعُ فيها إذا شاءت؛ فالحزنُ في رأي الغذامي هو الدلالة الأبرز على أنثوية القصيدة (الغذامي، 2005، 53)؛ نظراً للنبرة الفجائعيَّة الطاغية عليها، والتي تلائمُ طبيعة الأُنثى التي تتَّصفُ بالانفعالية، والحساسيّة الشديدة قياساً بالرجل، وكما تقول الشاعرة في حديث لها إنَّ الحزنَ هو محرّكُ الشعر الأوَّل، ومُشعِلُ فَتيلِ الفنون جميعها لعُمقه، ولكونه يشتغلُ في الأغوار البعيدة للإنسان بشكل عام والمبدعين بشكل خاص، وهو تكوينٌ ما هَويٌّ في النفس الإنسانيَّة، مردُّه وعيُ الإنسانِ بمصيره وما ينتظره من مجهول، وغياب، ورحيلٍ وفقدان (صالح، 2016، 56) وتستحوذُ نبرةُ الحزن والأسى على مجموعة من قصائد الشاعرة بشرى البستاني التي تفيضُ بالذاتيَّة وتتَّخذُ مساراً يتجاوزُ بها عن التأويلات السوسيولوجية، والعقائدية/ الإيديولوجية الصريحة، إذ تتقنَّع فيها بلغة شعريَّة، وتحتمي وراءَ مجازية مكثَّفة، على الرُغم من أنَّ الكثيرَ منها يعودُ لمراحلَ صعبة، وأوقاتٍ عصيبة، وحرِجة عاشها العراق، والعراقيون بفئاتهم المختلفة، في ظلّ الحروب المتكرّرة والحصار المستمرّ، والأحوال السياسية والاجتماعية والمعيشية السيّئة التي عصفَت بالبلد، لكنَّ الشاعرة آثرت أنْ تتَّجه إلى الترميز الكثيف، والغموض الشديد في بعض قصائدها، وتَبعُدَ بها عن الغائية والالتزام الواضح، شأنُها شأنُ الشعراء العراقيين الذينَ عاصروا أحداثَ الحرب، ومأزقَ الحصار وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ومع ذلك قد تعمَّدوا الإيغال في الغموض بذريعة" الاحتماء من البطش، بالتعبير عن الرأي بكتابة شعر غامضٍ يبقى على صِلة بمشاعر الإنسان وأحاسيسه، وموقفه من الدمار والعُنف، والظلم، ورفضها جميعاً "(ناظم، 2006، 9) وهذا ما أدَّى في رأي البعض إلى تراجع الموقف الإنساني في الشعر، ولا سيَّما الذي أُنتِج داخل العراق على الرغم من تطاول زمن الحرب والحصار، وتزامنهما(ناظم، 2006، 9)، إلا أنَّ ذلك لم يقلّل من القيمة الفنيَّة والجمالية لهذه المجموعة المختارة من قصائدِ الشاعرة، بل أضفَت عليها تفرُّداً وشعرية، وقابلية لاستيعاب تأويلات متعدّدة.

3-مظاهر الحزن الأنثوي وشعور الوحدة والاغتراب في شعر بشرى البستاني

ويمكن رصدُ ومضاتٍ يزخرُ بها هذا الاتّجاهُ الوِجداني من نصوص الشاعرة التي تحتفي بالكثير من مشاعر القهر والحزن والنبرة الفجائعية التي تتابُ الذاتَ حين تجدُ نفسها عاجزةً عن تقديم حلول، أو مواساة حقيقية ملموسة تُساعدُ على تخفيف أوجاع الواقعين بين أداتيَ القهرِ: الحرب والحصار، أو القتل والتجويع، وألوانٍ من الاضطهاد والعزلة، وحالة الشُحّ والتراجع الذي عاشها العراق على مستويات شتَّى اجتماعية وسياسية واقتصادية ولاسيما على المستوى الإنساني وما يتصل بحياة الأنثى، ومشكلاتها الاجتماعية الخاضعة لثقافة المجتمع وتصوراته إزاءها، مثل قصيدتها أنوثة في زمن الحرب (البستاني، 2012، 311)، التي تعبرّ عن معاناة الأنثى تحت وطأة الحرب، والقصف والحصار.

مِشطٌ ذاوٍ يتذكَّرُ شعراً منسابا..

كمِظلَّة حُبٍّ فوقَ الكتفينْ..

وزُجاجة عطرٍ خافتةٌ

تسألُ عن أنملةٍ تُشعلُها الأشواقُ

وعن صَدرٍ كانَ البحرُ يموجُ

بما يتلألأُ فيه من الأسماكْ...

وقلائدُ حمراءُ وخضراءْ..

أضواءُ تقفزُ من عينينِ

ترُشّان العطرَ على أطراف الحُلمِ

وأطرافِ الكونِ

غلائلُ نومٍ تنسابُ كأنهار الجنَّةِ

فوق ربوع المرمرِ

يذبلُ فيها الوردُ الورديُّ

وتغفو الأغصانْ

أطواقٌ....

أَسورِةٌ....

خلخالٌ سكنتْ رنَّتهُ

قمصانٌ يذوي فيها الشجرُ الزيتونيُّ..

الثمَرُ الأبهى يركنُ في داليةٍ أخرى

ويشيرُ إلى سيَّاف العصرِ،

إلى الخوف المتربّصِ في قبضة صاروخٍ

يتفجَّرُ تحتَ الشُرفةِ،

بينا تشتعلُ الأشجارْ....

تهيمنُ نزعة وجدانية، ذاتية على القصيدة؛ فهي قصيدة صوت واحد، تنطوي على موضوعة الحنين إلى الماضي برخائه وتَرفه، وتفاصيل يوميَّات الأنثى التي عاشتها الساردة فيما مضى، ولدالة (المشط) هنا دورٌ فاعل في بناء عالم الذكريات، وإضاءة ردهاتها المعتمة والمنطفئة التي غادرتها الأيَّام /مشطٌ ذاوٍ يتذكَّر شعراً منساباً / واستعمالها بصيغة النكرة للدلالة على الإهمال والهجر والانفصال؛ فهي الوحدة الدلالية الرئيسة التي تنطلقُ منها حركة القصيدة، وهي التي تنشّطُ ذاكرةَ النصّ، وتعودُ بها إلى الزمن الماضي، وأزمنة ضاجَّةٍ بالحركة، مترَفةٍ بنعيم النضارة، والجمال/ شعراً منساباً، مظلة حبٍ فوق الكتفين/ ويتحرَّكُ السردُ بين زمنين ، الماضي البهيّ، المشرق الذي تفتقده الذاتُ، وتتوقُ إلى استرداده ومعايشة لحظاته ثانيةً، والزمن الحاضر، حيثُ فقدت الأشياءُ ألقها، وسحرَها، والصورُ ألوانَها، والعطرُ شذاه وعبيرَه، فالجدلُ بين عالم الذاكرة، وعالم الواقع الموازي له، هو الذي يمنحُ القصيدة حركتها حتى النهاية، وبين انطفاء الواقع، وإشراقة الماضي تغدو الذاكرة مسافةَ العبور بينهما، وهي التي تُشرِعُ بابها على العالم الحميمي الخاصّ بالأنثى ومتعلّقاتها الشخصيَّة / مشطٌ، زجاجة عطرٍ، قلائدُ حمراءُ وخضراء، غلائل نوم، أطواق، أسورة، خلخال/ لتبنيَ الشاعرة رؤيتها إلى العالم عبرَ البحث عن الزمن المفتقَد، وتنشيط الذاكرة، لمواجهة الغياب وبؤسه المتسرّب من الذات إلى الأشياء، والمقتنيات الصغيرة التي دخلت في السُبات، والجمود/ زجاجة عطرٍ خافتة تسأل عن أنملة تُشعلُها، خُلخالٌ سكنت رنَّته، يذبُل فيها الوردُ الوردي/ بانتظار من يُشعلها، وتبُثَّ فيها الحياة، كالأميرة النائمة التي تنتظرُ فارساً يوقظها من رُقادها الطويل، بقبلةٍ أو لمسةٍ حانية، فإذكاء عالم الذاكرة الباهت والمنزوع اللون، وضخّه بالإشراق والألوان والحركة من جديد، تُماثلُ بناءَ عالم الممكن الذي تنشُدُه الذاتُ للخروج من الواقع المتآكل الصدىء، والكابت لتطلُّعات الأنثى وتشوُّقها إلى كينونتها الحقيقية، وحضورها الإيجابي، واستحقاقها الإنساني داخل المجتمعات.

وتمنحُ عمليةُ التذكُّر والسَّرد بصيغة المضارع، حضوراً واستمراراً، وتواصلاً وكأنَّ الأشياءَ والصورَ أضحت، مرئيَّة، ماثلةً للعِيان، وحاضرةٌ في التخيُّل، منفلتة من قبضة النسيان / الثمَرُ الأبهى يركُن في داليةٍ أخرى، يُشير إلى سيَّاف العصر، إلى الخوف المتربّص

بقبضة صاروخٍ، يتفجَّر تحت الشُرفة/ سيَّاف العصر هو لعنة الحرب، وقوى التدمير، والتخريب، والتشويه التي تطالُ الواقعَ الإنساني، وتستلبه وتصادرُ حقوق الفرد، وتعبثُ بأمنهِ، ووجوده؛ فالنصُّ الطافح بسيميائيات الحزن الوجودي يثير الإحساسَ بفقدان الهويَّة الأنثوية، وتغريب الأنثى، وتشويه الروح الإنسانية فيها بسبب الحرب وتبِعاتها المنهِكة التي تبدو كأنها تُسرّع آلة الزمن، أو ساعة الإنسان البيولوجية، لتجعله يشيخُ ويهرَمُ قبل أوانهِ، فالحنين والتذكُّر، وسيلةٌ، أوحيلةٌ نفسيَّةٌ تمارسُها الذاتُ لمدّ خطّ الوصل بين الماضي والحاضر، ومواجهةَ إحساس الانقطاعِ مع الزمن، لتسجّل بذلك انتصاراً على النسيان والانطفاء والزَّوال.

أهداني الرجلُ الصمتَ..

وأهديته الخمرة

لا تتلفتي..

وراءكِ ذئبٌ

لا تتقدّمي...

أمامكِ هاويةٌ

كيف تفصح الوردةُ عن جرحها إذن...

الحديقة بكامل زينتها..

لكنَّ الشرفةَ تتأَوَّه...

كلما انهمرت الصواريخُ

تذكَّرت وداعة جدتي ..

كلما نزف الجرحُ،

اتكأت عليه السكّين..

كلما استيقظ نبع الحرية،

أوقفته السلطة عن العمل..(البستاني،2012، 80، 81)

عبَّرت الشاعرة عن الصمت التاريخي المفروض عليها من قبل المجتمع الأبَوي، والرجل تحديداً بـ/ أهداني الرجلُ الصمتَ / لكنّها في المقابل أهدَته الخمرة، وللخمرِ هنا مدلولٌ سلبي؛ فهي تمنحُ متَعاطيها إحساساً طاغياً بالنشوة، لكنّها نشوة موهومة، ووقتية، لا تلبث أن تتلاشى، وتزول ليصحوَ المنتشي بعد غفوته الشهية؛ فإحساس الغلبة، والظفَر الذي يستحوذ على الرجل، وشعوره بالتفوّق على المرأة بسبب التزامها الصمت إما كرهاً أو طوعاً، ليس إلا شعوراً زائفاً بالنشوة يغمره، أو يضلله ليفترُ عما قريب، / وأهديته الخمرة / والخمرُ في هذا السياق كناية عن التغييب، والتضليل، وسرابية التفوُّق، ففي منظور الذات الشاعرة لا يمكنُ بناءُ علاقةٍ سليمة بين الطرَفين في ظلّ الاستغلال، والإقصاء، وفرض الهيمنة التي يمارسها طرف ضد الآخر، والذي غالباً ما تكون الأنثى هي الطرفُ الأضعف، في هذا الصراع الاجتماعي، فهي التي يفترضُ بها أن تخضعَ لجملة من الأوامر، والنواهي، في عُرف المجتمع التقليدي/ لا تتلفتي، لا تتقدّمي/ لترهيبها، وتخويفها، والحجر عليها ومن ثم اتهامها بضَعف الأفُق، وقصورِ الفكر لكي يضمنَ المجتمع صمتَها، وخضوعَها داخلَ سياج مُحكمٍ من التّحريمات، والملاحظ أن الشاعرة عبَّرت عن ذلك في منتهى الهدوء وبالغت في الموضوعيَّة، والسلبية، التي ربما كانت نوعاً من المراوغة، والمواربة، فصمتُ النساء وتكميم الأفواه، والتمييز الجنسي لن يُنتجَ

مجتمعاً صحياً، ولا متطوراً، أو رجالاً واثقين، ومتّزنين، ولا تُساعدُ في تكوين علاقاتٍ بين الجنسين تقوم على الثقة، والمصداقية، وهذا ما ترمزُ إليه جزئية/ الحديقة بكامل زينتها، والشرفة تتأوَّهُ / من المفارقة، والتعارض بينَ الشكل الخارجي المعلن، والحقيقة التي تختفي وراءه، والاختلاف الشاسع والمخجل الذي يُحاولُ المجتمعُ التستُّر عليه، أوتمويهَه وادّعاء التماسك والمثاليَّة، والكمال الزائف ما يضع الأنثى غالباً في مأزق الاغتراب الوجودي والنفسي الشديد وبالأخص في أوقات الأزمات الشديدة مثل الحرب والاضطرابات السياسية والانهيارات الاقتصادية التي تشهد المجتمعات أثناءها انتهاكات خطيرة بحق الأفراد عموماً والأنثى بشكل خاص..

أمَّا السؤال الذي لا يبحث عن جواب/ كيف تفصحُ الوردة عن جُرحها إذن/ والذي خرجَ إلى يأس، واستنكار باهتٍ فهو أشبه بتساؤل أو اعتراض بريء وحياديّ جداً، وتشبيه المرأة بالوردة فضلاً عن تَكرار قالَبٍ بلاغيّ عتيق، ومستهلك، فهو تكريس لصفة الضَعف، والرّقة، والصورَة النمطيَّة التي سنَّها الخطاب الغزلي التقليدي للرجل وحصرَ المرأة/ المعشوقة داخل حدودها الضيّقة، ولا تنسجمُ مع سياقاتِ النضال النِسوي، بل يوحي بلمسة حزنٍ ويأس، بعيداً عن نزعَة التمرّد والمنافحة، والخطاب الثوريّ، الموجَّه الذي يوظّف لغةً وتركيبات ودالاّت خاصَّة تؤدّي وظيفة إيديولوجية محدَّدة، فقد أرادت الشاعرة أن تُحاور الرجلَ بمنطقه ولغته واستعاراته كنوعٍ من المشاكلة، والإشارة إلى ازدواجية المعايير، والإحساس بالمفارقة التي تثيرُها فكرة التعامل مع الوردة بهكذا قسوة. وعلى الرَّغم مما يوحي به النصُّ من الوعي بضرورة إخضاع الراهن لمراجعاتٍ شاملة وَفقاً لرؤية تصحيحيَّة على أسُسٍ معرفية، وإنسانية، إلا أنَّ الشاعرةَ تحرِص على عدم التصادُم مع توافقات الوعي الجمعي الراهن، والأنساق السائدة سواءٌ كانت ثقافية أم اجتماعية، ودينيةٍ، أوسياسية تخضع لهيمنة الحركات الإيديولوجية المتطرّفة على الواقع السياسي والاجتماعي للمجتمع العراقي الذي يشهدُ اضطراباً، وخلطاً كبيراً وسوء إدارة للعملية السياسية بعد سنوات من الحرب، والتمزُّقات، والتدخُّلات الدولية والإقليمية. أما الإحساس بالاستمرارية والتكرار للأنماط الفكرية الرجعية والمظاهر السلبية، فنتلمسُّها في عبارتها الشعرية / كلما انهمرت الصواريخ، تذكرت وداعة جدتي، كلما نزف الجرح اتكأت عليه السكين، كلما استيقظت نبع الحرية، أوقفته السلطة عن العمل/ والدالة المكررة (كلما) نزعت عن السياق، الإحساس بالزمن من كثرة التكرار العشوائي والمتواصل لأحد اقوى وسائل الحرب، والتدمير /الصواريخ/ بصيغة الجمع، وتعريفها بلام الجنس التي تستوعب أصناف الصواريخ الحربية، باختلاف قدراتها التدميرية، وشحناتها التفجيرية، التي استباحت سماء العراق، وانتهكت أرضه، وسلبت الحياة والأمن من سُكانه ومواطنيه، وفعل الانهمار يشعر المتلقي بالضغط الشديد واجتياح العنف للمشهد الحياتي، والشعري، وفقدان الأمان، فالشاعرة تحتمي من غدر الصَّواريخ بعالم الطفولة المبهج، والمفعم بالأمان الذي ترمز له دالة (جدتي) المسندة إلى ياء التملك، وهي وحدة دلالية تتركز عندها وداعة الحياة وألفة الماضي، وتشع بإيحاءات الأمان والدف العائلي، والسلام والسكينة التي تفتقدها الشاعرة في وطنها، وفي يومياتها بسبب الحرب والعنف؛ فهي ترتد إلى عالم الذكريات هرباً من واقعها القاسي. وينطوي النص على جدال مستمر بين مجموعة ثنائيات، تمثلُّ مكونات الواقع التي تقوّم حركته وسيرورته، وتعكس الصراع الدائم بين الخير والشر وهي الجدل القائم بين الماضي، والحاضر، الحرب والسلم، الشعور بالأمان الذي تفتقده الشاعرة، وشعور الخوف الذي يتملّكها، أرادة الإنسان إلى الحياة وتحقيق الذات، وإرادة السلطات القامعة لتطلعات الإنسان الذي يتوق للحرية وللعيش بأمانٍ في هذا العالم .

داخلي يُكتبُ الشعرُ

في داخلي يصرخُ الصمتُ

في داخلي تتحرّك كلُّ المعاركِ

تسفَحُ أمنية دمَ إخوتها

وتُجزّ الضفائرُ

ما أوجع الصمتَ إذ يتساقطُ سِربُ البجَع...

روَيداً...

على واحةٍ من وجعْ...

أعطبَ الصمتُ دَمي...

فاصرُخي يا كرةً ينصِبُ في أحشائها

الصُبَّيرُ خيمةْ...

وعلى نبضِ حَصاها

يودّعُ الصُبيرُ سُمَّه....

وعلى شُرفتها

يُلوى ذراعُ الصوتِ إنْ همَّ

وتجتاحُه في الليلِ ثعابينُ بجُنحينِ

ونيرانٌ وحُمَّى...

فاصرُخي ...كي أطمئنْ... (البستاني، 2012، 308 - 309)

الصمت الأنثوي ذلك الخيار الاضطراري الذي تحتجبُ وراءه مُنازعات الذات، وصراعاتها المريرة، والتَكرارُ الملّحُ في مفردة (داخلي) عند مستهلّ القصيدة، يمنحُ هذا الصراع موقعاً فيزيائياً ينبثقُ منه الحسُّ، والشعورُ، ويتموضعُ الألمُ، بخصوصية شديدة، حين تلتجىء الذاتُ الشاعرة إلى العالم اليوتوبي الممكن بوصفه ملجأً يحتوي نزعتها الثائرة المتمرّدة، ومهرباً من العالم الواقعي القاتم بماديته القاسيَّة وبيروقراطيته الشديدة بعد أن تُغلق كلُّ الأبواب بوجهها للبحث عن خلاص الروح، وكما يؤمن هيديجر "بإنَّ البديل الخلَّاق للعالم الحقيقي المشوَّش، هو مملكةُ الشعر، والروح" (ولسون، 1981، 120). فالنصُّ يرصُد الواقع الاجتماعي القامع، والمتردّي والذي يعمل جاهداً على تكريس سلطة الذكورة، وقهر الأنثى التي غدَت ممزّقة بين قسوة الخارج، وإكراهاته، وضغوطه، وضجيج الداخل وغليانه، بين خارج محكوم بسجون الصمت، وداخل مستباح من فورة الغضب، وثورة الشوق، والتوق إلى تحرُّر الكلمات من سجونها، فـ/ داخلي يُكتبُ الشعرُ/ و صيغة البناء للمجهول للفعل المضارع في راهنيته واستمراريته/ يُكتَبُ/ الذي يُحيل إلى مرجِعيَّة غائبة أو غامضة، أو شبه مقدَّسة، يوحي بأن لغة المشاعر، ولغة القلب هي فطرة الانسان، وأنّ الشعرَ ترنيمته الأولى وهو أول ارتعاشةٍ للُّغة. (الماجدي، 2004، 75) كما أن تركيبة/ تُجزُّ الضفائرُ/ جاءت بصيغة المبنيّ للمجهول للدلالة على التكرار، وكثرة الممارسة، وتعدُّد أشكال العُنف، واختفاء الفاعلين أو إخفائهم، والتسترُّ عليهم لأسباب اجتماعية وسياسية وإيديولوجية. وتطغى على المقطع نبرة، الحزن، واليأس وهي في مُجملها تكشفُ الاصطراعَ الداخليَّ المضنيَ، والمؤدّي إلى اغتراب اجتماعي شامل يتعرض له الجنس الأنثوي، ذلك النمط من الاضطراب النفسي والوجداني الذي ينتج بدوره اغتراباً خانقاً تتعرَّض خلاله وحدة الشخصية للانشطار والضعف أو الانهيار بتأثير العمليات الثقافية، والاجتماعية التي تتمرُّ في داخل المجتمع فتفقدُ الشخصيةُ فيه مقوّمات الإحساس المتكامل بالوجود والديمومة (خليفة، 2003، 80)، والألفاظ المستعملة تعكس ثورة الذات، والغليان الداخلي لما في تركيبتها الصوتية من قوَّة ورنين في السمع/ يصرخ، الصمت، الصوت، تجزُّ الضفائرُ، أعطب، أصرخي، ينصِبُ، الصبيرّ/ فضلاً عن التكرار في بعض الدلالات المركزية/ داخلي، الصمت، الصبير، اصرخي/ ماعدا (الصوت) الذي جاء مرة واحدة كمؤشر على التصميت وتكميم الأفواه، ومصادرة الحرّيات، وفي تعبيرها الشعري /تُجزُّ الضفائرُ/ تنبعث إشارات عن التشويهُ النفسي والجسدي، والقمع والاستلاب الأنثوي، والسرد متَّجهٌ إلى الذات التي ترى العالم، وتعاينُه من خلال مجموعة صراعات عميقة، متداخلة، صراع الذات مع الآخر متعدّد التمظهرات، وصراع الداخل مع الخارج الذي يختزل الواقع والممكن، وصراع الفرد مع الواقع الراهن، فضلاً

عن صراع الطبقات في المجتمع كإحدى تمثُّلاته الحتمية، وقد يدخل الصراع بين الرجل والمرأة في دائرة الصراع الطبقي، الذي سمَّاه ماركس النضال الطبقي، وهو النضال بين الطبقات المستغِلَّة، والطبقات المستغَلَّة فهو جانبٌ أساسٌ من قانون الأضداد الكبير (ماركس، د.ت، 102).

أمَّا التحوُّلُ في الضمير النحوي المستعمل من التكلّم إلى الخطاب، فهو أسلوبُ التفاتٍ (مطلوب، 1980، 279) اتَّجه إليه النصُّ لينقلَ التجربة من الذاتية والمحدودية، والتقوقُع على الذات إلى مستوى التَّخاطب والمشاركة، والتعميم، إذ تتَّسعُ دائرةُ التجربة الشعورية، حينَ يشهد النصُّ الانتقال من الحوار مع الذات إلى الحوار مع الآخر، أو المخاطب، الذي يمكن أن يكون الذاتَ الأخرى المشتقَّةَ من الذات الساردة حين تشهد صعوداً وترتقي من مستوى الإحساس الفردي الذاتي إلى الإحساس بهموم الجماعة ومواجدها وشجونها/ فاصرُخي ياكرةً ينصبُ في أحشائه، فاصرخي .....كي أطمئن/ فالطاقة التي تحملُها صيغةُ الأمر المباشر، تجعل السياق أكثر ثوريَّةً، وحيَويةً، وتواصُلياً بين المتكلّم، والمتلقّي، ولاسيَّما أنَّ الفعلَ مقترنٌ بياء المخاطبة بامتدادها الذي يضمنُ الانتشار في دوائرَ سمعيةٍ أبعدَ، ومساحاتٍ من الوعي أوسع، لإيقاظِ مَن غيَّبهم التخديرُ الإيديولوجي، والتضليل التاريخي الممارَس/ أصرُخي... كي أطمئن/ وتستحضر العبارة مفهوم الوجود عند ديكارت الذي قال "فلأتصوَّر ما شئتُ أنَّني مخدوعٌ في وجود الأشياء الخارجية، ولأرفض ما شئت فكرة وجود الله، ولكنني مضطرٌّ إلى التسليم بوجود نفسي، لأنَّني لكي أُخطىءَ في هذا وأنخدعَ في ذاك يجب أن أكونَ موجوداً "(محمود، 1936، 99) فهو تثويرٌ للكوجيتو الديكارتي الذي يفترضُ أن الفكرَ سابقٌ على الوجود، ففي منطق القصيدة ورؤيتها لا يكفي أن يكونُ الفكرُ وحدَه علامةً على الوجود، بل يجب أن يكون التفكير ثورياً، احتجاجياً، معارضاً حتَّى يثبُتَ ذلك الوجود، لتتحوَّل الذات في التجربة الشعرية لبشرى البستاني من الذات المفكرة إلى الذات الثوريَّة، وليتحول القول المحض إلى ممارسة فعليةٍ، وتطبيق / كي أطمئنَّ/ وهو التيقُّنُ من الوجود، بالوصول إلى الحضور الفاعل والثورة.

4-نتائج البحث

- تتبنى الشاعرة موقف الانحياز من الأحداث التي تدور في واقعها، وتتخذ موقعاً داخل الحكاية الشعرية التي تسردها بوصفها جزءاً من هذه الأحداث، ومتفاعلة مع الواقع المعيش، ومتأثرة بقضاياه، ويشير ضمير التكلم، وياء التملك والحيازة المستعملة بكثرة إلى سردية الأنا، وتماهي الذات الساردة - الشاعرة مع الحكاية، حين تتقاطعُ همومها الشخصيَّة وأحزانها الأنثوية، وإحباطاتُها مع مشكلات المجتمع، والفئة الاجتماعية التي تنتمي إليها، فالشاعرة ترى نفسها جزءاً من مجتمعها وواقعه، وما يتعرَّض له المجتمع من ضغوط الواقع المعيش وإكراهاته لا تُستثنى منه الذات الشاعرة بحال فهموم الجماعة همومها ،واحزانه جزءٌ من أحزانها.

- المعجم الشعري الذي استعانت به الشاعرة بشرى البستاني تطغى عليها دالات الحزن والقهر والغربة ومعاني النكوص والارتداد بسبب واقع الحرب والأزمة الاقتصادية، وهي مفردات جسدت مشاعر الحزن، وأبرزت الجانب الوجداني من شعر الشاعرة ، فنلاحظ أن الشاعرة لجأت إلى أساليب تعبيرية مختلفة كأسلوب الطلب (الأمر والنهي) والنداء، والتعجب، وأسلوب الاستفهام الخارج إلى الإنكار.

- على الرغم من أن الشاعرةَ بشرى البستاني معروفةٌ بدفاعها ومنافحتها عن قضايا تخصُّ المرأة في عدد كبير من قصائدها، ومجموعاتها الشعرية، ونزعة الالتزام والنبرة الواضحة في لغتها الشعرية، إلا أنها في مثل هذه القصائد وشبيهاتها ابتعدت قليلا عن النزعة النسويَّة الثائرة والمتمرّدة، ولم تتبنَّ اتجاهاً إيديولوجياً، بل اتخذت في تجربتها الشعرية مسلكاً أنثوياً بعيداً عن نزعة التمرُّد، وعن الاتجاه إلى التغيير الثوري الشامل، فلجأت إلى أسلوب رمزي ملغز شديد الغموض، والتعبير عن مشاعر الحزن والهموم الفردية ينأى بالخطاب عن خط المواجهة الصريحة مع الخطاب السائد.

-تعبرّ الشاعرةُ عن مشاعر الحزنِ والهموم الشخصيَّة للأنثى، وتتولىَّ الدفاع عنها، وإلقاء الضوء على مشكلاتها مع المجتمع الذكوريّ بكثيرٍ من المرونَة وفي إطار فكرة القمع التاريخي والمجتمعي الذي تتعرَّض لها النساء وذلك عن طريق البوح بمشاعر الحزن والإحساس بالرفض، والقهر، والكبت لعلَّ ذلك كان طريقةً لكسبِ التعاطُف مع مشكلات المرأة، وهمومِها الشخصية، والمعيقات الاجتماعية والتاريخية أمامها.

تتبع الشاعرة طريقة الاستبطان والتوغل عميقاً إلى داخل الذات وباطن النفس، للإخبار عن الذات عوضاً عن التوجُّه إلى الخارج بشكل مباشر وواضح ونقد سلوكيات الرجل إزاءها، أو انتقاد سياسة السُّلطة الأبوية.

- وتنطلق الشاعرة في رؤيتها لواقع المرأة الذي تدهور وساء أكثر في ظل الحروب المتكررة، والأزمات الاقتصادية والاجتماعية، وتصفية الحسابات السياسية، من مبدإ إنساني بحت؛ بوصف قضية المرأة قضيةً إنسانيةً، أكثر من كونها قضية نسوية أو جندرية وسياسية.

5-المصادر والمراجع

- بشرى البستاني. (2012). *الأعمال الشعرية*. ط1بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- جورج بوليزر، جي بيس موريس كافين. (بلا تاريخ). *أصول الفلسفة الماركسية*. (شعبان بركات، المحرر) بيروت، صيدا: المكتبة العصرية.
- حسن ناظم. (2006). *أنسنة الشعر مدخل إلى حداثة أخرى، فوزي كريم نموذجاً* ، ط1 الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي.
- خزعل الماجدي. (2004). *العقل الشعري ط1*. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- روجيه جارودي. (2017). *واقعية بلا ضفاف*. (حليم طوسون، المحرر) المملكة المتحدة: مؤسسة الهنداوي.
- زكي نجيب محمود. (1936). *قصة الفلسفة الحديثة*. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- سيمون دي بوفوار. (2008). *الجنس الآخر*. (ندى حداد، المحرر) عمان، الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع.
- عبد اللطيف محمد خليفة. (2003). *دراسات في سيكولوجية الاغتراب*. دار غريب للنشر والطباعة والتوزيع.
- عبدالله الغذامي. (2005). *تأنيث القصيدة والقارىء المختلف* ، ط2. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- كولن ولسون. (1981). *مابعد اللامنتمي.ت: يوسف شرورو، عمر يمق، ط5* بيروت: منشورات دار الآداب.
- محمد يونس صالح. (2016). *حديث الماء، حديث الشعر* حوار مع الشاعرة بشرى البستاني، ط1. الموصل، العراق: جامعة الموصل.
- أحمد مطلوب. (1980). *أساليب بلاغية الفصاحة البلاغة المعاني*. ط1الكويت: وكالة المطبوعات.

دیدگایەک لە خەمی ڕۆژانەی ژنانە وەک خەم و تەنیایی لە واقیعی شەڕ و گەمارۆدان

كزنك صالح رشيد
بەشی عەرەبی ، کۆلێژی زمان، زانکۆی سەلاحەدین-هەولێر،هەولێر،هەرێمی کوردستان،عێراق
Gazangsalih33@gmail.com

علاء الدين محمد رشيد
بەشی عەرەبی ، کۆلێژی زمان، زانکۆی سەلاحەدین-هەولێر،هەولێر،هەرێمی کوردستان،عێراق
aladdinmohammedrasheed@gmail.Com

پوختە

ئەم توێژینەوەیە باس لە دەرکەوتەکانی خەمخۆریی خود دەکات، وەک خەم و هەستکردن بە تەنیایی و نامۆبوون لای مێینە و ئەو سەختیي و کیشانە ی کە لە ژیانی ڕۆژانەیدا ڕووبەڕووی دەبێتەوە کە هاوکاتە لەگەڵ کێشەی شەڕ و گەمارۆدان و تێکچوونی دوخی ئابووری و شلە زانی باری کۆمەڵایەتی، وکا یکە ری توندی ئ و فا کتە رانە بە گشتی بەسەر واقیعی کۆمەڵایەتی و کاریگەرییەکانی لەسەر ئەزموونی شیعریی شاعیر بوشرە ئەلبوستانی و پێکهاتنی دیدگای ئەو بۆ جیهان لە چوارچێوەی سیستەمێکدایە کە ڕووداوەکانی واقیع بە ئاشکرا کۆنترۆڵی دەکات و بە تایبە ت دوای ئە و گۆرانکاریە زە ق و ترسناکانە ی کە عیراق پییدا تیبە ری لە م سالانە ی دواییدا، کە زۆریك لە بشیوی و نا ئارامی بە دوای خۆیدا هینا لە سە ر هە موو ئاستە کانی سیاسیی و کۆمە لایە تی و دارمانی دۆخی ئابووری، هەروەها لەسەر ئاستی تاکەکەسی، بەتایبەتی ئە پرسانە ی پەیوە ستن بە ژیانی مێینە و ڕۆژانەی ئەوەوە هەیە، کە تێیدا بەریەککەوتن لەگەڵ تە نکژە و کێشە کانی ژیان لە ناو واقیعی جە نگدا لای مینە دوو هێند دە بیت بەهۆی ئەو تایبەتمەندییە سۆزداری و هەستیارییانەی کە بە پلەی یەکەم تایبەتمەندی ژنانە ن.

ووشە سەرەکییەکان: تێڕوانینی دونیا، خەم و نامۆبوون، بوشرە ئە لبوستانی، واقیعی زیندوو، شەڕ و گەمارۆ.

A Vision of Feminine Daily Concerns such as Sadness and Loneliness in The Reality Of War and Siege

Gazang Salih Rasheed
Department of Arabic language, Collage of Languages, Salahaddin University- Erbil, Erbil, Kurdistan Region, Iraq
gazangsalih33@gmail.com

Aladdin Mohammed Rasheed
Department of Arabic language, Collage of Languages, Salahaddin University- Erbil, Erbil, Kurdistan Region, Iraq
aladdinmohammedrasheed@gmail.Com

Abstract

This research deals with the manifestations of self-concerns, such as sadness and feelings of loneliness and alienation, the female predicament and the difficulties, challenges, and hardship she faces in her daily life that coincides with the problem of war, siege, and comprehensive economic and social deterioration, her control over social reality, and the impact of that on the poetic experience of the poet Bushra Al-Bustani, and the formation of her vision for The world is within a system controlled by the events of reality and its major and pressing transformations that Iraq has witnessed over the The chaos, collapse, and difficulties it caused at all vital levels, such as economic, political, and social, as well as at the individual level, especially those related to the female's life and her daily lives, in which she collides with the challenges and constraints of living reality, doubly due to the emotional and sentimental specificity that primarily characterizes women.past decades.

Key words: View of the world, sadness and alienation, Bushra Al-Bustani, living reality, war and siege